مصادر التلقي عند الصوفية

تأليف

د/ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن المصادر التي يتم من خلالها تلقي الحق عند الناس هي العامل المؤثر في تحديد مسارهم وتحديد خطّ اتجاههم؛ لأنهم عنها يَصدُرُون، وإليها يتحاكمون، ومنها يقتبسون، فما أبطلته فهو الباطل، وما حقَّته فهو الحق.

ولهذا فإن الحصيف يدرك أن الحكم بالرشاد أو الضلال على فرقة من الفرق مرتبط أشد الارتباط بمعرفة مصادر تلقّيها.

وقد كان الناس قبل بعثة النبي ﷺ في جاهلية جهلاء، لا يعرفون نظامًا ولا يلزمون أحكامًا ولا يهتدون سبيلًا، فبعث الله سيد ولد آدم، نبيه وخليله محمدًا ﷺ مخرجًا لهم من الظلمات إلى النور، فصارت هذه الأمّة بعد بعثته خير أمة أخرجت للناس، لها مبادؤها الثابتة وأهدافها السامية، في ظل وحدة نادرة وقلوب صافية، قِبْلتهم واحدة، وعقيدتهم واحدة، ومصادرهم في التلقي واحدة، فما إن يقع النزاع في مسألة إلا ويردّوه لما أمرهم الله بالرد إليه من كتابه وسنة نبيه ﷺ فتتضح لهم المحجّة وتظهر لهم الحجّة، قال ﷻ: ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا** ﴾ [النساء:٥٩] قال غير واحد من المفسرين: الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى رسول الله ﷺ هو الرد إلى سنّته[(١)].

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير ابن جرير ٥/ ٩٥-٩٦، وفصّل بعضهم أمر الرد إلى الرسول ﷺ بأنه الرد إليه في

وهذا الأمر الكبير من أعظم ما جعل سلف الأمّة على اعتقاد واحد ومنهج ثابت، إذ إنهم يتبعون ولا يبتدعون، ويأتمرون ولا يبتدئون، فلذلك كانوا خير الناس كما أخبر ﷺ بقوله: [**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**][1].

وقد درج علماء الأمة العاملون على هذا النهج القويم، فلذلك تميز أهل السنّة من بين جميع المنتسبين لهذا الدين بهذه المزية الفريدة العظيمة، كما قد نبّه على ذلك العلامة أبو المظفر السمعاني الشافعي رحمه الله حيث قال عند بيانه **الفَرْق المنهجي بين أهل السنة وغيرهم وما ترتب على هذا الفرق من نتيجة**: ((وأما **سائر الفرق** فطلبوا الدِّين لا بطريقه؛ لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم، فطلبوا الدين من قِبله، **فإذا سمعوا شيئا من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم**، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردّوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستنكرة فحادوا عن الحق... **وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم** وطلبوا الدين من قِبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه وشكروا الله عز وجل حيث أراهم ذلك ووقفهم عليه، وإن وجدوه مخالفًا لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتّهمة على أنفسهم))، ثم ذكر رحمه الله **أن نتيجة هذا الفرق** المنهجي هي أن أهل السنة من أولهم إلى آخرهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم **على وتيرة واحدة في الاعتقاد** وعلى نمط واحد لا يحيدون عنه، **أما غيرهم فإنهم متفرقون، يبدّع بعضهم بعضا ويكفّر بعضهم بعضا**، حتى ليكفّر الابن أباه والأخ أخاه والجار جاره[2].

ولا شك أن الفِرق قد تباينت مصادرها في التلقي، فكان لا بد أن يحدث من جرّاء ذلك اختلاف عظيم، لا في مسألة واحدة بل في مسائل متعددة، إذ إن لكل فرقة في تناولها مسلكًا مخالفًا لمسلك غيرها، فعَظُم الخطب واتسع الخرق على الراقع، مما أدى إلى ضعف عظيم في المسلمين،

حياته، وإلى سنته بعد وفاته، وهو واضح.

(١) رواه البخاري ٤/ ١٨٩، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم برقم ٢٥٣٣، وقد ورد من حديث ابن مسعود وعمران وغيرهما رضي الله عنهما.

(٢) نقله السيوطي في صون المنطق ص١٦٦-١٦٧ عن كتاب (الانتصار لأهل الحديث) لأبي المظفر، وذكر نموذجًا لذلك تكفير البغداديين من المعتزلة للبصريين، وتكفير البصريين للبغداديين مع أنهم يجمعهم جميعًا اسم المعتزلة.

ترتب عليه طمع أعدائهم فيهم وتشتُّت شملهم، فانقلب عزّهم إلى ذل، واتحادهم إلى فُرقة، ولن يعود للمسلمين عزّ ولا قوة إلا إذا سلكوا المسلك الرشيد الذي التزمه سلفهم، حيث كان ذلك المسلك سبب كل خير نالوه ومجد شيّدوه، ورحم الله الإمام مالكًا بن أنس حيث قال: ((لن يُصْلِح آخر هذه الأمّة إلا ما أصلح أولها)).

وهذا الموضوع المطروح بين يديك أخي الكريم **"مصادر التلقي عند الصوفية"** ما هو إلا نموذج من النماذج الكثيرة المشابهة التي لو أَنصَف المعنيّون بها لعدلوا المسار وشاركوا في استنقاذ أفواج هائلة في هذه الأمّة من التخبط، فربحوا الأجر والرجوع إلى الحق، وهو ما نرجو الله أن يجد منهم آذانًا صاغية، فقد بلغ حال الأمة مبلغًا لا يكاد يوجد له نظير في تاريخها، وما لم تتظافر الجهود للرجوع بالأمة إلى ما كان عليه سلفها فإن أمورها لن تزيد إلا بؤسًا وشقاءً، وسيتحمل مسؤولية ذلك وغِبَّه كل من تسبب في صدّ الأمة عن طريق رسمه لها نبيّها ﷺ ودرج عليه أهل القرون المفضلة من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان.

والآن إلى تفصيل هذا الموضوع، والذي سنتناوله بحول الله في النقاط الآتية:

أولاً: أنواع الصوفية

ثانيًا: اختلاف مصادر التلقي عند الصوفية

ثالثًا: مصادر التلقي المنحرفة:

١- المصادر الخارجية.

٢- العلم اللَّدنّي.

٣- الهواتف.

٤- الأحلام.

٥- الأحاديث الموضوعة.

٦- تحريف النصوص.

أولاً: أنواع الصوفية.

يتميز أهل السنة بمزية عظيمة عند نقدهم للفِرَق، وهي أنهم يلازمون الإنصاف فلا يعمّمون الأحكام على من لا تتناوله، فلذلك نظروا إلى التصوف نظرة العالم الفاحص الذي يزن الكلام قبل إطلاق الأحكام.

ومن ذلك أنهم بينوا أن المتصوفة ليسوا سواءً، فمنهم من انحرف انحرافًا لا يحتاج معه أحدٌ إلى كبير عناء للحكم بتضليله وسوء سبيله، ومنهم من كان إدخاله في اسم التصوف بجامع ما بينه وبين بعض أهله من التشابه العام الذي لا ينبغي تصنيف الناس بناء عليه؛ لئلا تختلط الأمور وتندرس الفروق والحدود.

وذلك أن من المتقدمين من أُدخِل في اسم التصوف بسبب ما كان عنده من الزهادة في الدنيا والاجتهاد في العبادات بالإقبال على نوافل الصلاة والصيام وتفَحُّص المأكل والمشرب وحفظ الأوقات بصرفها في الذكر وتلاوة كتاب الله وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي أرشد إليها الشرع المطهر.

١- **وهؤلاء هم الزهاد الأوائل** الذين أثنى عليهم أهل العلم ومدحوا مسلكهم.

وقد قال ابن الجوزي منبهًا إلى الفرق بين هؤلاء الزهاد وغيرهم: ((**فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف**))[(١)].

٢- **ومن المتصوفة من خلط التصوف ببدعة "الكلام" المذموم**، فصار صوفيًّا متكلمًا في الوقت نفسه، فجاء بالعجب وكثر اضطرابه، حيث يتنازعه اتجاهان متضادّان، أحدهما يقوم على تمجيد العقل وتعظيمه، والثاني يتضمن مخالفات ظاهرة للشرع والعقل معًا.

ومن المتصوفة من استخدموا التصوف في ترويج ضلالة مهلكة وبضاعة فاسدة، حيث

٣- **استخدموا التصوف لترويج الفلسفة! فأخذوا مذهب الفلاسفة المنتسبين للإسلام كابن سينا وأمثاله، وأخرجوها في قالب الإسلام بلسان التصوف والتحقيق**[(٢)].

---

(١) تلبيس إبليس ص١٦٥.

(٢) انظر كتاب الصفدية لابن تيمية ١/ ٢٦٥.

وأنت خبير بما في الفلسفة من ألوان الزيغ والضلال؛ فلذا لا يقارن هذا الصنف من المتصوفة ـ في خطورتهم ـ بأي صنف من أهل التصوف المنحرف.

وفي الأنواع السابقة من المتصوفة يقول الإمام أبو العباس بن تيمية ﷺ: ((الشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي في (طبقات الصوفية) وأبو القاسم القشيري في (الرسالة) كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث كالفضيل بن عياض والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وعمرو بن عثمان المكي وأبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي وغيرهم، وكلامهم موجود في السنّة، وصنفوا فيها الكتب، لكن بعض المتأخرين منهم كان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد، ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين، فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث، وهم خيارهم وأعلامهم، وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام، فهؤلاء دونهم، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة، كهؤلاء الملاحدة... ولهذا كان هؤلاء كابن سبعين ونحوه يعكسون دين الإسلام، فيجعلون أفضل الخلق "المحقِّق" عندهم ـ **وهو القائل بالوحدة ـ وإذا وصل إلى هذا فلا يضره عندهم أن يكون يهوديا أو نصرانيا**))[1].

وحيث تبين أن المتصوفة في أقسامهم على النحو المذكور، فهل ستختلف مصادر التلقي عندهم أم لا؟ هذا ما سيرد بيانه في الفقرة الآتية بحول الله.

---

(١) الصفدية ١/ ٢٦٧-٢٦٨.

١- المصادر الخارجية، ومنها:

أ- النصرانية.

ب- المذاهب الهندية.

ج- الفلسفة اليونانية.

ثانيًا: اختلاف مصادر التلقي عند الصوفية.

حيث كان التصوف كما ذكرنا متفاوت الاتجاهات، فمن الأمور المؤكدة أن مصادر التلقي لن تكون واحدة عند الجميع، فإن الصنف الأول ـ حسب تقسيم ابن تيمية ـ والذي يمثله الفضيل بن عياض وأمثاله لا يمكن أن يكون مصدر التلقي لديهم مماثلًا لمصدر التلقي لدى أمثاله ابن عربي وابن سبعين، من الذين خلطوا التصوف بالفلسفة.

وبالإمكان الجزم بأن مصادر التلقي عند الزهاد الأوائل الذين عُرِفوا بلزوم السنة وأُطلِق عليهم في الوقت نفسه لفظ الصوفية، بالإمكان الجزم بأن مصادر التلقي لديهم ليست مختلفة عن المصادر التي يتلقى منها سائر المسلمين في زمن السلف الصالح، فإن هؤلاء الزهاد لم يكونوا بمنأى عن علماء السلف، وإن كان ذلك لا يعني أن هؤلاء الزهاد لا توجد عليهم مآخذ، لكن الأمر المهم أن تلك المآخذ لم تكن نابعة من جهة انحراف المصدر الذي يتم التلقي منه، وبعبارة أوضح فإن هذه المآخذ ليست منهجية أو عقدية بقدر ما هي زلة فردية.

وهاهنا لا بد من التنبيه إلى مسألة جليلة، يجب على كل من درس التصوف أن يضعها نصب عينيه، وهي أن كثيرًا من الأقوال والحكايات التي تُنسب لهؤلاء الزهاد إما أنها باطلة مكذوبة، وضعها عليهم من عُرِفَ عند أهل العلم بالافتراء والكذب، أو أنها لا أصل لها، فلا تروى بسند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع.

وقد استغل المنحرفون من الصوفية هذه الأباطيل المنسوبة لهؤلاء الزهاد لترويج ضلالهم، وذلك بنسبة نظائره لهؤلاء الأخيار.

وقابل هؤلاء بعض الباحثين الذين لم يعتنوا بالتدقيق في نسبة هذه المرويات لأهلها، فبنوا عليها أن فلانًا من الزهاد عنده من الضلالة كذا وكذا، والدليل أن في كتب الصوفية حكاية عنه حاصلها كذا وكذا.

وهذا من الظلم، إذ كيف يُنسب إلى أحد ما لا يصح ولا يثبت، ثم يحكم عليه بالزيغ

والضلال!

وقد أثنى علماء أفاضل على أولئك الزهاد وبينوا حسن مسلكهم، كما في كلام ابن تيمية، وهم ـ أعني العلماء المثنين ـ أحرص على نصر السنّة ودحض البدعة، مما يؤكد ما قلناه من أن هؤلاء الزهاد كانوا على طريقة أهل السنة، وأن جعلهم مع المنحرفين جنبًا إلى جنب خطأ ينبغي تلافيه والتنبه له.

ثالثًا: مصادر التلقي المنحرفة.

لما كان الغرض من كتابة هذه الوريقات هو العلاج والإرشاد في المقام الأول كان لا بد من التركيز على مصادر التلقي المنحرفة مع ذكر نماذج لها.

وحيث إن مثل هذا الأمر في غاية الصعوبة كان لا بد من السعي إلى تسهيله قدر المستطاع؛ لأن سلوك غير هذا السبيل يسبب السآمة والملل من جهة القارئ، وبالتالي فلن يتحقق الهدف المنشود من كتابة البحث بأسره.

فأقول: كان الزهد عند المتقدمين قد يتضمن شيئًا من المخالفة وحمل النفس على ما لا ينبغي حملها عليه من التشديد والمبالغة، بَيْدَ أن علاج أي خلل لدى أولئك الأخيار يكون بتنبيه أهل العلم للواحد منهم إلى أن في فعله مخالفة لما في الكتاب والسنّة فيرجع سريعًا عن مخالفته؛ لما قدّمنا من أن أولئك الزهاد لم يكن لهم مصدر يتلقون منه غير المصدر الذي يتلقى منه علماء الأمة العاملون.

بَيْدَ أن التصوف خطى خطوات خطيرة حين رضي عدد من المنتسبين إليه أن يتلقوا من مصادر أخرى غير الكتاب والسنة فأنتج ذلك انحرافات متعددة يصعب حصرها إلا بكلفة شديدة.

ولنذكر من هذه المصادر التي أثّرت التأثير المذكور ما يأتي:

١- المصادر الخارجية (النصرانية، المذاهب الهندية، الفلسفة اليونانية).

٢- العلم اللّدنّي.

٣- الهواتف.

٤- الأحلام.

٥- الأحاديث الموضوعة.

٦- تحريف النصوص.

وسنفصل الكلام بحول الله في هذه المصادر، مع الحرص على ذكر الشواهد الدالة على ما نقول من كتب الصوفية.

١- المصادر الخارجية، ومنها:

أ- النصرانية.

ب- المذاهب الهندية.

ج- الفلسفة اليونانية

أ- النصرانية:

معلوم أن النصرانية رسالة خاصة ببني إسرائيل الذين كان كثير منهم على جانب شديد من الانهماك في ملذات الدنيا ونسيان الآخرة، حتى قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، فبعث الله عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام ليوقظهم من سباتهم ويردّهم عن انهماكهم في ملذاتهم ونسيانهم ما لأجله خُلِقُوا، وقد **تضمنت النصرانية شيئًا كثيرًا من الترغيب في الآخرة والكف عن الانهماك في الملاذ الدنيوية.**

ولم يقتصر النصارى على ما بعث به نبيهم، بل زادوا عليه وابتدعوا ما لم يأذن به الله من الرهبانية المفرطة كما قال تعالى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾[الحديد:٢٧].

ولما بعث الله نبيه محمدًا ﷺ بعثه برسالة عامة شاملة كاملة، تُصلح الدين والدنيا معًا، فصارت بحقّ هي الرسالة المناسبة لكل زمان ومكان، وبها ختم الله الشرائع، فلا إفراط فيها ولا تفريط، ولا غلوّ ولا تقصير.

وإن من الأمور الفظيعة الشنيعة أن يُعدل عن هذا الدين العظيم الكامل إلى أي دين سواه، حتى وإن كان دينًا منزلًا من عند الله على أمة خلت من قبل.

وقد شُغِف عدد من الصوفية بما في النصرانية من الأوضاع التعبدية، فعدلوا عما في دين الله الخاتم الذي هو خيرٌ إلى الذي هو أدنى. وقد بلغ الحال ببعض الصوفية إلى حدّ **صَحَّحوا فيه مسلك الرهبان، وزعموا أن لديهم الدليل على ذلك من قول النبي** ﷺ، فزعموا أن الحديث الذي ورد بعدم التعرض للرهبان الذين انقطعوا للتعبد في صوامعهم فيه تقرير لهم على ما هم عليه من حيث عموم رسالته ﷺ، كما أنه أقرّ أهل الكتاب على أن يسكنوا دار الإسلام بالجزية، وادعى هؤلاء أن هذه مسألة خفيّة لا ينتبه لها إلا أهل الغوص على الدقائق(١)!!

وهذا الكلام خطير جدًّا على قائله من جهة أنه ينسب للشرع إقرار الكفر وتصحيح مذهب أهله، وهو يبين ما نحن بصدد الحديث عنه من جهة وضوح الأثر النصراني على طوائف من أهل التصوف.

---

(١) الجواهر والدرر، بهامش الإبريز للدباغ ص٢٣٧.

ولذا قال عبد الكريم الجيلي في كتابه الشنيع (الإنسان الكامل): ((أما النصارى فإنهم أقرب من جميع الأمم الماضية إلى الحق تعالى، فهم دون المحمديين، سببه أنهم طلبوا الله تعالى فعبدوه في عيسى ومريم وروح القدس... **وكل هذا تنزيه في تشبيه لائق بالجناب الإلهي**))[1].

فتأمل فظاعة هذا الكلام وتأمل الميل إلى النصارى وتحسين شركهم وإقرارهم على دينهم.

وبعد أن كال الشعراني لأحد معاصريه الصوفية المدائح من جهة حدوث الكرامات على يديه، وأنه من ذوي الكشوف قال عنه: كان أكثر نومه في الكنيسة، **وكان يرى بطلان صوم المسلمين، ولا يرى أن الصيام يقع حقيقة إلا من النصارى** ومن سلك مسلكهم في الصيام، ممن لا يأكل اللحم[2]!!

بل إن أحد الصوفية يلوم بعض المريدين الذين تركوا شيخهم؛ لأنه تنصّر في بلاد الروم بعد أن عشق نصرانية، فقال هذا الصوفي معاتبًا مريدي ذلك الذي تنصر حين تركوه: ((ما كان ينبغي الانفضاض من حوله، **كان ينبغي أن يتنصّر الجميع**))[3]!

وهذا يُشعِر بوجود ميل مخيف عند طوائف من الصوفية إلى النصرانية؛ فلذا لا يشعرون بوجود حاجز كبير بين دينين، أحدهما حق، والثاني باطل، وهذا مما أدى إلى تَسَرُّب طقوس النصرانية إلى القوم.

ولنذكر مسائل محددة تبين ما أجملناه، فنقول: من الأمور التي تلقاها كثير من الصوفية عن:

١- النصرانية مسألة **التجرد التام عن الدنيا وترك إعطاء النفس حظّها مما شرع الله أخذه من الدنيا**.

وهذا المسلك المعوج ـ مع أنه مخالف لنهج الإسلام ـ له عواقب وخيمة قد توقع المرء في شرٍّ مما كان يحذر.

تجد من **يعرّف التصوف بأنه ((نبذ الدنيا كلها))**[4] ويصف الكلاباذي الصوفية بأنهم

---

(١) انظر ص١٢٧ من الكتاب المذكور.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/ ١٤٠.

(٣) حكاية الشيخ صنعان، ضمن كتاب منطق الطير لجلال الدين الرومي ص٩٠٩.

(٤) فواتح الجمال لنجم الدين الكبرى ص٥٩.

((تركوا الدنيا، فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأَعْروا الأجساد))[١].

وتجد في كتب الصوفية مثل هذه العبارات: ((لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلى منازل الكلاب))[٢].

وهذه مبالغات منكرة، وليست من الإسلام في شيء.

نعم أَمرَنا الشرع بالتزود للآخرة وعدم الركون إلى زخرف الدنيا، وبيّن أنها متاع قليل، ولكن لم يشرع الله لنا هذا النهج المبالغ فيه من التعامل مع الدنيا، بل إن النبي ﷺ حين بلغه أن بعض أصحابه ﷺ مالوا إلى شيء من هذا أنكر عليهم، وبيّن أن ذلك من الرغبة عن سنته والعدول عنها إلى غيرها، فقد سأل ثلاثة نفر عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، **قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا**، وقال آخر: أنا **أصوم الدهر فلا أفطر**، وقال آخر: أنا **أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا**، فجاء رسول الله ﷺ فقال: [**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**][٣].

وثمة نماذج أخرى أنكر فيها ﷺ على كل من مال إلى شيء من المبالغة، فردّ على عثمان ابن مظعون ﷺ التبتل[٤]، وأنكر صنيع عبد الله بن عمرو ﷺ حين صار يصلي الليل كله ويصوم النهار سرْدًا وأخبره أن لأهله عليه حقّا ولنفسه عليه حقًّا[٥].

وفي هذه المواقف العظيمة منه ﷺ أبلغ رد على مسلك من مالوا من الصوفية إلى طريقة رهبان النصارى.

---

(١) التعرف ص٢٩.

(٢) الطبقات للشعراني ١/ ٤٦.

(٣) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ٦/ ١١٦، ومسلم برقم ١٤٠١.

(٤) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يكره عن التبتل والخصاء ٦/ ١١٨-١١٩، ومسلم برقم ١٤٠٢.

(٥) رواه البخاري في كتاب الصوم، وبوّب عليه باب حق الضيف في الصوم، باب حق الجسم في الصوم، باب صوم الدهر، باب حق الأهل في الصوم، باب صوم يوم وإفطار يوم، باب صوم داود ٢/ ٢٤٤-٢٤٧، ورواه مسلم مطولا بعدة ألفاظ برقم١١٥٩.

٢- وقد **اعتزل كثير من الصوفية فيما عُرِف بالأربطة والزوايا**، وفي هذا تشبه ظاهر برهبان النصارى الذين سبقوهم إلى هذا المسلك في الصوامع والأديرة.

وقد انتقد ابن الجوزي رحمه الله صنيع الصوفية في انفرادهم بالتعبد في الأربطة من ستة وجوه منها أنهم **تشبهوا بالنصارى بانفرادهم في الأديرة وأنهم ابتدعوا هذا البناء، وإنما بناء أهل الإسلام المساجد**[1].

٣- ومن ذلك ما تسرب إلى القوم من **مسلك رهبان النصارى في شأن الزواج**، فقد زهّد طوائف من الصوفية في الزواج، وساروا على نهج الرهبان، مع أن في القرآن العظيم الحثّ على الزواج، كما في قول الله: ﴿ **فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ** ﴾[النساء:٣]، ومع أن النبي ﷺ قد حثَّ على الزواج، وبيّن أنه من سنّته، وأوضح جملة كثيرة من أحكامه[2].

ومع ذلك كله زهّد كثير من الصوفية في الزواج، فقال السهروردي: ((التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرُّخص... ودوران حول مظان الاعوجاج، والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى))[3].

وقال الغزالي: ((ينبغي أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج، فإنه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة، ومن أنس بغير الله شُغِل عن الله تعالى))[4].

ويبلغ الغلو بأحدهم أن يقطع ذَكَره استجابة لهذا المسلك الرهباني، كما نقل ذلك الشعراني عن أحدهم أثناء مدحه له[5].

وقد أدى بهم هذا المسلك الذي خالفوا فيه الشرع ووافقوا فيه الرهبان إلى مفاسد خلقية أقرّ بها غير واحد من الصوفية وحذروا مريديهم منها، ومن أشهرها مسألة صحبة الأحداث[6]،

---

(١) تلبيس إبليس ص١٧٥.

(٢) خصص أهل الحديث في كتبهم قسما كبيرًا لأحاديث النكاح فراجعها في الصحاح والسنن.

(٣) عوارف المعارف ص١٦٤-١٦٥.

(٤) نقله ابن الجوزي عنه في تلبيس إبليس ص٢٩٥.

(٥) الطبقات ٢/ ١٤٢.

(٦) انظر ما كتبه أبو القاسم القشيري في الرسالة عن موضوع (صحبة الأحداث)، وتمنّى أن ما نقل عن بعضهم في هذا سُتِر ولم يظهر، وانظر المرويات في ذلك في تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢٦٤.

والتي ورد بشأنها من النقول ما تجيش له النفوس بالبكاء على القوم، والتحسر على الواقع الأليم الذي أوصلهم إليه تلقيهم من النصارى وتركهم سنة نبيهم ﷺ وفطرة ربهم.

ومما تقدم يتضح جليًا أن النصرانية واحدة من المصادر التي تلقى عنها عدد من الصوفية، بل إنهم قدّموا بعض طقوسها وأوضاعها التعبدية على ما جاء به رسول الله ﷺ.

ب- المذاهب الهندية:

وُجِد في الهند مذاهب كثيرة جدًّا، ولا يزال قسم منها موجودًا يدين به الملايين من البشر، وهذه المذاهب مذاهب وثنية من حيث العموم، غير أن صور الوثنية فيها متفاوتة.

ولعلك أن تعجب كيف تسربت إلى الصوفية مبادئ هؤلاء الوثنيين! أم كيف صارت مذاهبهم إحدى مصادر التلقي!

ولعل عجبك أن يزول إذا علمت أن هؤلاء الهنود قد عُنُوا بالتركيز على الجوانب الروحية، وهو ما جلب إعجاب طوائف من الصوفية بهم، حيث رأوا شدة عنايتهم بالروح، بل وشدة تعذيبهم للجسد، لأن هذه الأجساد ـ في نظرهم ـ بمثابة السجن الذي سجنت فيه الأرواح، ولا سبيل إلى الخلاص من سجن الجسد إلا بتعذيبه؛ لتصل الروح بعد ذلك إلى الخلاص والصفاء.

ولنذكر جانبًا من هذه الحال عند الهنود ثم نتبعه بنظيره عند الصوفية؛ لبيان هذه الحقيقة المرّة، فنقول: عُرِف عن (بوذا) قصة طويلة حاصلها أنه أخضع نفسه لتقشّف شديد وعاش على الحبوب والكلأ، بل واقتات بالروث، إلى أن تمكن من أن يجعل طعامه حبة من الأرز كل يوم، ورقد على الشوك، وارتاد مكانًا تُلقى فيه جثث الموتى فعمد إلى هذه الجثث المتعفنة فنام بينها! لماذا كل هذا؟

ليتصل بما يسمونه (النيرفانا) ويحصل له الإشراق وينال الراحة والطمأنينة بالطريقة الوثنية[1].

وكان وثنيو الهند يسعون إلى الحصول على هذه النتيجة المزعومة من خلال ممارسة جملة من الأوضاع التعبدية الشاقة التي تدمر الأبدان؛ لما أن هذه الأبدان ـ عندهم ـ بمثابة السدّ المانع من الخلاص والراحة، ولهم في ذلك أخبار وقصص يطول ذكرها.

---

(١) القصة مطولة في (قصة الحضارة) لديورنت ٣/ ٦٨-٧١، وأطال أحمد شلبي في ذكرها في سلسلة مقارنة الأديان في القسم الخاص بالبوذية.

منها على سبيل المثال أيضًا قصة (**مهاويرا**) **مؤسس طائفة الجينية** الذي مارس من أنواع الجوع والرياضة الشاقة وتعذيب الجسد نحوًا مما مارسه بوذا، رغبة في الوصول إلى العلم المطلق بزعمه[1].

١- والناظر في كتب عدد من الصوفية يجد الشَّبَه ظاهرًا بينهم وبين أولئك القوم، ولذلك نماذج كثيرة، منها ما رتَّبه السهروردي **من طريقة يتمرن بها المريد الصوفي على الجوع** بحيث يتحمله بالتدريج، حتى إنه ذكر أَكْل رُبْع سُبْع رغيف كل ليلة حتى ينفي الرغيف في شهر**!!**

وذكر أن طائفة وصل بهم الحال إلى ترك الأكل مدة أربعين يومًا[2].

وتحقيقًا لهذا الغرض هامَ طوائف منهم في الصحارى بلا زاد؛ ولذا مرّت بهم أيام كثيرة لا يأكلون شيئًا، حتى إن أبا طالب المكي نقل أن بعضهم لبث في البريّة أحد عشر يومًا لم يَطعَم شيئًا[3]، واستحسن الغزالي هذا لمن راض نفسه وقدر عليه كما هي طريقة بعض الصوفية[4].

ولعل القارئ الكريم لا يغيب عن ذهنه أن هذا مخالف مخالفة شديدة لشرع الله، فقد نزل قول الله تعالى: ﴿ **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ** ﴾[البقرة:١٩٧] في أناس من أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون على الله[5]، فحَسَمت هذه الآية العظيمة وغيرها من النصوص هذه الأوهام، وتميز المسلمون بحسن المسلك في توكلهم على الله، فلا هُمْ باللاهثين وراء الدنيا، غافلين عن الاعتماد على ربهم، ولا هم بالذين يتركون الأسباب ويتعرضون للتلف، زاعمين أنهم مهذّبون لنفوسهم متوكلون على ربهم، وللسلف رحمهم الله ولأهل العلم من بعدهم أقوال ومواقف كثيرة أبانوا فيها عن هذه الحقيقة وأرشدوا الغافل عنها[6].

ونعود لما ذكرناه من تلقي الصوفية عن المذاهب الهندية إجهاد الأبدان وتعذيبها فنذكر من ذلك ما نقله الدبّاغ المغربي عن **أحد الصوفية من أنه رمى بنفسه في بداية مجاهداته من حلقة داره**

---

(١) أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية) لأحمد شلبي ص١١١ وما بعدها.

(٢) عوارف المعارف ص٢٢٣-٢٢٤، وذكر نحوًا منه الشعراني في الطبقات ١/ ١٨٣ عن أحمد البدوي.

(٣) العوارف ص١٢٦.

(٤) الإحياء ٤/ ٢٨٢.

(٥) انظر الروايات التي ساقها ابن كثير لهذا الخبر في تفسيره ١/ ٢٣٨-٢٣٩.

(٦) انظر كتاب التوكل للدكتور عبد الله الدميجي.

إلى أسفل تسعين مرة[1].

ومن ذلك ما وقع فيه بعض الصوفية ـ في حال الذِّكر ـ من ممارسات غريبة **من أشدها كتم الأنفاس** كما ذكر القشيري، حيث أوجب على المبتدئ في الأحوال أن يسكّن الحواس ولا يحرك أنفاسه[2].

وكتم الأنفاس والبقاء مدة طويلة بنَفَس واحد طريقة هندية معروفة، وهي ذات أثر بالغ ومدمّر للعقل والجسد.

٢- ولك أن تعجب أكثر إذا علمت ما اقتدى به طوائف من الصوفية بالبوذيين في مسألة **(التسوّل)**، فمن المعروف أن التسوّل والوقوف على أبواب الناس إحدى نصائح بوذا لأتباعه[3]، ومع ذلك أخذ به مَن أخذ مِن الصوفية.

يقول الطوسي: ((الأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى))[4] وينقُل عن بعض صوفية بغداد أنه لا يكاد يأكل شيئًا إلا بذُلّ السؤال[5].

ليس هذا فحسب بل **رتّب بعضهم للسؤال وحمل الزنبيل (عجبًا) وجعلوا له كيفية محددة** نقلها ابن عجيبة، وحاصلها أن الصوفي عند إرادته سؤال الناس يَعْمَد إلى الوضوء والصلاة! فيصلي ركعتين ويخرج إلى السوق آخذًا الزنبيل بيمناه، ومعه آخر يَذْكر الله ويُذكّر الناس حتى يجمع ما تيسر من الطعام ويحضره إلى زملائه **ليأكلوا طعامًا حلالًا بلا تكلف!**[6] كما زعم.

ولا يخفى أن هذا مخالف للنهي الصريح عن سؤال الناس إلا لمن رخّص لهم الشرع في ذلك، وليس منهم قطعًا هؤلاء الكسالى الملازمون لهذه الأربطة، يستجدون الناس وهم قادرون على الكسب.

---

(١) الإبريز ص١٠٥.

(٢) رسالة ترتيب السلوك من رسائله ص٦.

(٣) أديان الهند لأحمد شلبي ص١٧٤.

(٤) اللمع ص٢٥٥.

(٥) المرجع السابق ص٢٥٣.

(٦) إيقاظ الهمم ص٣٣٣.

وليت شعري أين ذهب عن هؤلاء الوعيدُ المرتَّبُ على هذا الصنيع، والذي أخبر به ﷺ عن السائلين الذين وصفنا حالهم من المجيء إلى الله بوجه ليس فيه مزعة لحم، إلى غير ذلك من الوعيد(١).

ولكن التلقي عن المصادر المخالفة لدين الله يُوصل إلى هذه النتائج المؤسفة.

وقد تسرب إلى التصوف من هذه المذاهب الهندية ما هو أشد من كل ما تقدم، حيث تسرب إليه عقائد خطيرة لم تكن الصور السابقة إلا تمهيدًا للوصول إليها في زعمهم، غير أنا نرجئ الكلام عليها إلى موضعها المناسب عند الحديث عن الفلسفة اليونانية.

ج - الفلسفة اليونانية:

اليونان أمة مشركة لها مفاهيم وثنية عديدة، غير أنهم اعتنوا بالفلسفة واشتهروا بها، وقد سرَت فلسفتهم إلى المسلمين أمّةِ التوحيد فخلّفت فيهم أسوأ الآثار، حين تُرجمت كتبهم إلى العربية فعمّ بسببها مفاهيم فلسفية وثنية مغايرة لدين الله المبني على أساس متين من توحيد الله والانقياد لأمره.

ولم تكد تسلم فرقة من الفرق المبتدعة من تأثير الفلسفة اليونانية، رغم تباين اتجاهاتها.

وإذا كان من الأمور المسلَّمة أن المتكلمين قد تأثروا بالفلسفة اليونانية فإن التصوف أيضًا قد تأثر بها تأثرًا بليغًا كما سيأتي بيانه قريبًا بحول الله.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن التصوف بأسره ما هو إلا امتداد للفلسفة اليونانية كما ذكره كثيرون، منهم البيروني في كلامه الآتي، إن شاء الله.

ولئن صح هذا في طائفة في الصوفية فإنه لا يُعَمَّم على جميعهم، لما ذكرنا من أن التصوف ليس اتجاهًا واحدًا، بل هو عدة اتجاهات كما تقدم في كلام ابن تيمية رحمه الله.

وقد استمد كثير من الصوفية من الفلسفة اليونانية **النظرة إلى المعرفة**، حيث جعلوا للمعرفة منهجًا أساسه التأمل والمجاهدة الروحية وغيرها من الطرق التي تنقل الصوفي في

---

(١) انظر ما جمعه الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه المحرر في الحديث ١/ ٣٥٥-٣٥٦ في الموضوع "باب في المسألة".

مدارج المعرفة حتى يصل إلى اليقين ومشاهدة الحقائق على ما هي عليه، كما زعموا، وجعلوا ضمن مناهج المعرفة ما **سمَّوه بالكشف وإشراق المعارف والأنوار على النفس،** وذلك عند تجردها.

والصوفية بهذا يصدرون عن فكر أفلاطوني ممتزج بالغنوصية القائمة على فكرة أن **الروح كانت ضمن عالم الـمُـثُـل والحقائق المجرَّدة، حيث الصلة المباشرة مع مصدر المعرفة اليقينية، ثم هبطت إلى العالم المادي، وعليه فإن الروح كما هبطت في سلّم متدني الدرجات فإنها قادرة على العودة ثانية حيث كانت، وذلك في عملية تطهُّر تتخذ سلمًا متعالي الدرجات، فإذا وصلت أشرقت عليها أنوار لا طاقة للعقل أن يتعرف عليها بالاستدلال والحجة، وليس للحس أيضًا قدرة على الوصول إليها بالتجربة**[1].

هذا باختصار هو الأثر الكبير الذي دخل إلى التصوف من طريق الفلسفة اليونانية، وستتضح لك أبعاده الخطيرة ـ بعون الله ـ عند الكلام على **موضوع العلم اللّدُنِّي** عند الصوفية.

إذًا فالصوفية اكتسبت هذه الوجهة الفلسفية ذات الآثار الاعتقادية الكبيرة من اليونان إضافة إلى الغنوصية، والتي تعني التوصل بنوع الكشف إلى المعارف العليا أو هي تَذوُّق تلك المعارف تذوقًا مباشرًا[2].

وقد أشار **البيروني** في كلام له طويل إلى صلة التصوف بالفلسفة اليونانية فقال كلامًا حاصله أن من سمّاهم حكماء اليونان كانوا ـ يعتقدون قبل تهذيب الفلسفة ـ عقيدة الهنود بأن الأشياء إنما هي شيء واحد، ويقولون: ((ليس للإنسان فضل على الجمادات والنباتات إلا بسبب القرب إلى العلَّة الأولى، وكان بعضهم يعتقد أن الوجود الحقيقي هو وجود هذه العلة، فأما وجود غيرها فهو في حكم الخيال، وهذا **رأي السُّوفية وهم الحكماء، فإن (سُوف) باليونانية هي الحكمة، وبها سمّي الفيلسوف (بيلاسوبا) أي محب الحكمة، ولما ذهب قوم في الإسلام إلى قريب من رأيهم سُمُّوا باسمهم**، وقد ذهبوا إلى أن المنصرف بكليته إلى العلة الأولى يتّحد بها عند خلع العلائق،

---

(١) انظر نشأة الفلسفة الصوفية لعرفان عبد الحميد ص١٣٧-١٣٩، وتوسع في عرضها د.محمد السيد الجليند في كتابه من قضايا التصوف ص١٠٥-١٩٣.

(٢) انظر كتاب القضاء والقدر للدكتور عبد الرحمن المحمود ص١٠٣.

وهذه آراء يذهب إليها الصوفية[1].

ومراده هنا الصوفية الفلاسفة الذين زعموا أن **الموجود الحقيقي هو الله وحده، وما سواه من الموجودات، سواء الموجودات العلويّة كالسموات والأفلاك وغيرها، أو السُّفلية كالأرض والبحار وغيرها ما هي إلا مظاهر يظهر فيها الرب فقط!**

١- وتكمن خطورة هذا في أن عبادة أي شيء في الكون ما هي إلا عبادة لله، لأن الوجود الحقيقي عندهم هو وجود الرب وحده، فمن عبد حجرًا أو شجرًا أو كوكبًا أو جنًّا أو إنسًا فإنما يعبد الله؛ لأنه يعبد مظهرًا من مظاهره، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وفي هذا يقول ابن عربي الطائي ـ وهو غير الفقيه المالكي ابن العربي ـ: ((العارف المكمَّل من رأى كل معبود مَجْلًى للحق يُعبَد فيه؛ ولذلك سمَّوه كلهم إلهًا مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك))[2].

ونظم الجيلي شعرًا قريبًا من هذا المعنى يؤكد فيه ما قاله ابن عربي[3]، وكذلك الدمرداش[4] وحسن رضوان الذي قال:

ولا يــزال نــوره يـزيـــــد		حتى لديه يكمل التوحيد

وسِرُّ وحدة الوجود ينكشف		لعينه ومنه ذوقا يرتشف[5].

ووحدة الوجود هي التي عناها الذين قبله من أن **الموجود الحقيقي هو الله، وما سواه فهو مجرد مظهر يظهر فيه الرب.**

٢- وهذا الصنف من الصوفية أخطر الأصناف، إذ إن طريقتهم هذه تؤدي إلى نسف الإسلام بالكليّة، وتجعل كل ملة وكل دينٍ حقًّا وصوابًا فلذلك صوّبوا ما عليه أهل الكفر جميعًا

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص٢٤-٢٥.

(٢) فصوص الحكم ١/ ١٩٥.

(٣) الإنسان الكامل ١/ ٢٩، حيث يقول: فمهما ترى من معدن ونباته...إلخ حيث عدّد كثيرًا من المخلوقات وقال إنها هي الله، نعوذ بالله.

(٤) القول الفريد ص١٦.

(٥) روض القلوب ص٢٦٩.

وحكموا بأنهم ناجون في القيامة، بمن في ذلك أقوام الأنبياء الذين أرسلوا إليهم كقوم نوح وقوم هود، وكذا فرعون وغيره، كما صرح بذلك ابن عربي وتتبع الآيات الدالة على كفرهم بالتحريف[1] كما سيأتي نقله بحول الله لاحقًا.

ومن هنا وضعوا بذرة القول بوحدة الأديان في المسلمين، كما قال ابن عربي:

لقد كنت قبل اليوم أُنكِرُ صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلًا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجَّهَتْ ... ركائبه فالدين ديني وإيماني[2].

فأشار إلى تصحيح كل هذه المذكورات وجعلها جنبًا إلى جنب مع القرآن، وعَبَّرَ عن ذلك بدين الحب، والذي يعني إقرار كل ملة ودين.

٣- **والنتيجة المترتبة على هذا أنه لا يوجد أمر محرم،** فمن عرف سرّ وحدة الوجود حلّ له عندهم كل شيء، حيث وصل إلى كنه الحقيقة، وقد بين ذلك ابن القيم رحمه الله على لسانهم في النونية:

فدَع الحلال مع الحرام لأهله ... فهما السياج لهم على البستان
فاخرقه ثم انظر تَرَ في ضمنه ... قد هُيئت لك سائر الألوان
وترى بها ما لا يراه محجَّب ... من كل ما تهوى به زوجان[3]

وهذا من الدلائل الكبيرة على أن استحلال المحرمات في التراث الصوفي عائد إلى هذا الاعتقاد الفلسفي الخطير.

وبذلك تعرف شدة تأثير الفلسفة اليونانية على التصوف، وأنها نقلته إلى درك سحيق جاوز الوصف، فإن كثيرًا من فلاسفة اليونان كما تقدم وثنيّو المعتقد، وهم الذين تلقى عنهم هذا

---

(١) كما في كتابه فصوص الحكم، وسيأتي ذكر بعضها بحول الله ص٤٣.
(٢) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق ص٣٩.
(٣) القصيدة النونية ١/ ٧٧.

الصنف من الصوفية ضلالاتهم، فكانت العاقبة غير حميدة.

وقد حذّر أهل العلم منهم ـ أعني فلاسفة اليونان ـ وبينوا أنهم إحدى طوائف الكفر الذين صاغوا كفرهم صياغة تجلب إليه من لم يقدر الله حق قدره[1].

ومن عجبٍ أن تجد الثناء الكبير على فلاسفة اليونان من هؤلاء المتصوفة الذين لم يخْفَ عليهم تحذير أهل العلم منهم ومن مسلكهم.

فالجيلي يصف أفلاطون ـ بعد أن سخر من تكفير أهل العلم له ـ يصفه بأنه ملأ العالم الغيبي نورًا وبهجة، وادعى الجيلي أنه رأى لأفلاطون مكانة لم يرها إلا لآحاد من الأولياء[2].

ووصف لسان الدين الخطيب ملاحدة اليونان هؤلاء بأنهم **إلهيّون، ترقّوا إلى العالم العلوي، وأبصروا من نوره ولذّاته أمورًا مذهلة، ثم عادوا إلى عالم الحس، ورمزوا لذلك في كتبهم، وذكر منهم من أسماه معلِّم الخير (أفلاطون)**[3]**!**

وقال د.عبد الحليم محمود: ((الصوفية جميعًا وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورس وأفلاطون إلى يومنا هذا يعلنون منهجًا مُحَدَّدًا يُقِرُّونه جميعًا ويثقون فيه ثقة تامة... وهو منهج معروف أقرّته الأديان جميعها واصطفته مذاهب الحكمة، القديم منها والحديث))[4].

والشاهد من كلام الرجل إقراره باتحاد منهج التصوف مع منهج هؤلاء الفلاسفة، فأما دعواه أن الأديان أقرّت هذا فمن أعظم الباطل، بل الأديان التي أنزلها الله ذات منهج محدّد جلي ظاهر في القرآن والسنة بعيد عن ضلالات اليونان وزيغهم.

ولله در ابن القيم حين فهم هذا الفهم السوي من دين الله وأوضح أنه أبعد ما يكون عن ضلال اليونان فقال:

عَقْلانِ عقل بالنصوص مؤيَّد   ومؤيد بالمنطــق اليونـانـــي

---

(١) انظر كتاب ذم الكلام للهروي، وكذا ما نقله السيوطي في صون المنطق عن أهل العلم في هذه المسألة.

(٢) الإنسان الكامل ٢/ ٥٢-٥٣.

(٣) روضة التعريف ص٥٦٠.

(٤) المرسي أبو العباس ص١٠.

والله ما استويـــا ولــن يتلاقيــا   حتى تشيب مفارق الغربان[1]

والشواهد الدالة على تأثر المنهج الصوفي بالفلسفة ظاهرة في كتب القوم، حيث امتلأت كتبهم بعبارات أولئك الفلاسفة مثل (العقل الأول، العلة والمعلول...إلخ).

وفي خاتمة الكلام على تأثير المصادر الخارجية على التصوف أشير إلى ما شهد به أحد الصوفية المعاصرين من وجود هذه الآثار، حيث ذكر بعد كلام له عن وحدة الوجود أنها مذهب نصراني أو هندي، وإنما استمده أهل الشذوذ في التصوف من الفلسفة البائدة وغذّوا بها مذهبهم الشاذ بفكر أفلاطوني وآراء بوذية وفارسية، عن طريق الفارابي وابن سينا، مبينًا أن المتتبع لحياة الحلاج ومؤلفات السهروردي وابن عربي يرى أنهم تأثروا بالمتفلسفة المنتسبين إلى الإسلام الذين أخذوا عن الفلسفة الأفلاطونية القديمة والحديثة والأرسطو طاليسية[2].

ومع ذلك فإن كثيرًا من الصوفية يُـحذِّرون غاية التحذير من تضليل ابن عربي وأمثاله من الزائغين، ويزعمون أنهم وإن كان ظاهر كلامهم خطيرًا وباطلًا إلا أن له باطنًا صحيحًا أرادوه وأشاروا إليه، فلذلك تجدهم إلى اليوم لا يتجاسرون على رميه بالضلال أو الزيغ، مما أثار حفيظة أهل العلم فحذروا من هذا الصنف الخطير، حتى إن الشيخ البقاعي الشافعي صنف كتابًا جمع فيه أقوال علماء الأمة الذين كفّروا ابن عربي وأطال في ذلك[3] كما حذر منهم ابن حجر العسقلاني قاضي الشافعية، وكان له معهم مواقف مشهودة[4]، وحذر منهم أبو العباس بن تيمية[5]، وتلميذه الحافظ ابن القيم[6] وغيرهم من علماء الأمة من الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة الذين حذروا منهم قديمًا وحديثًا؛ لما علموه من شناعة وخطورة ما توصل إليه طرائقهم، والله المستعان.

---

(١) النونية ١/ ٢٢٤-٢٢٥.

(٢) جمهرة الأولياء ١/ ٢٩٢.

(٣) طبع في بعض النسخ باسم (تنبيه الغبي إلى كفر ابن عربي) وعلق عليه الشيخ عبد الرحمن الوكيل.

(٤) انظر كلامه عنهم في أول شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري في فتح الباري عند الكلام على التوحيد ومعناه، واشتدت المنازعة بينه وبين أحدهم حتى باهله، ثم إن الذي باهل مات من الغد، وكان ابن حجر قال في مباهلته: ((اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعنّي بلعنتك)) نقله الألوسي في غاية الأماني ٢/ ٣٧٤.

(٥) انظر الرد على المنطقيين ص٢٨١-٢٨٢ وكذا ص٥٢١-٥٣١، والصفدية في المواضع التي تقدمت، وكذا في فتاواه.

(٦) انظر على سبيل المثال الصواعق المرسلة والنونية.

٢- العلم اللّدنّي:

تقدم أن طوائف من الصوفية جعلوا للمعرفة منهجًا قائمًا على التأمل والمجاهدة، بحيث ينتهي بهم الأمر إلى إشراق الأنوار عليهم ومعاينة الحقائق على نحو يعجز العقل والحس عن إدراكه والتعرف على حججه ومآخذه، في زعمهم.

ولم يقف بهم الأمر عند رفض موازين العقل والحس، بل أدخلوا الشرع الإسلامي العظيم ضمن ذلك، وجعلوا دين الله والنصوص الصريحة غير حاكمة عليهم وعلى معارفهم، والسؤال الملحّ: **ما هو هذا العلم اللّدنّي الذي انفردت به الصوفية ـ بزعمهم ـ عن علماء الأمة؟ وما نتائجه وآثاره؟**

الجواب: قد تبين فيما مضى عند الكلام على طريقة الصوفية في تلقي المعرفة من خلال المجاهدات الشاقة والتعذيب العظيم للأجساد والتأمل المستمد من طريقة الهنود واليونان وغيرهم، فلذلك لا تسأل عن نتائج هذه العلوم وما أفرزته من الآثار.

حيث أوجد ما عرف عند القوم بـ(**علم الحقيقة**)، والتي يدّعي الصوفي من خلالها أمرًا أو يفعل فعلًا أو يقول قولًا، فإذا خالف الشرع الظاهر وأُنكِر عليه قيل للمعترض: أيها المحتج بالشرع إن العارف لا يُعترض عليه؛ لأنه وإن خالف في الظاهر فهو مصيب في الباطن، فهو على الصواب دائمًا، حتى وإن ارتكب محرمًا أو ترك واجبًا!!

يبين ذلك بإيجاز شديد هذا البيت:

فإن كنتُ في حكم الشريعة عاصيا فإني في حكم الحقيقة طائع[١].

ولهذا ارتكب بعضهم أمورًا محرمة مثل ترك الصلاة[٢] والفطر في نهار رمضان بلا عذر يبيح الفطر، بل يقول أحدهم حين أفطر: أنا معتوق أعتقني ربي[٣]، ومنهم والعياذ بالله من فعل

---

(١) إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص١٩٧.

(٢) انظر ما كتبه ابن حزم في الفصل في الملل الأهواء والنحل ٤/ ٢٢٦ عن هؤلاء القوم، ولما لم يجد بعضهم حيلة للتخلص من تركه الصلاة ادعى أنه يصلي مع الناس في الحرم المكي مع أنه مصري فقال:

وفي طندتا قالوا الصلاة تركتَها وما علموا أني أصلي بمكة!

(٣) انظر طبقات الشعراني ٢/ ١٥٠.

الفاحشة على الملأ، وعدّ الشعراني والنبهاني ذلك في كراماته[1].

وحجتهم وحجة المدافعين عنهم أنهم فعلوا هذه الأمور لإدراكهم من علم الحقيقة ما يقصر عن فهمه من أسموهم بالمحجوبين وعلماء الرسوم، وأسموهم أيضًا ـ على سبيل التعيير ـ أهل الظاهر أي أنهم لا يدركون إلا ما ظهر من نصوص الشرع ولا يعرفون الحقائق الدينية إلا من جهتها، بينما يدرك من سمّوهم بالعارفين وعلماء الحقيقة ما يعجز عن فهمه وإدراك معانيه سواهم.

وهذا الاعتقاد يجعل صاحبه مصنَّفًا ضمن الباطنية، فإن حقيقة مذهبهم قائم على أن للشرائع ظاهرًا تعرفه العامة الذين لا يفقهون، وباطنًا يدركه الكُمَّل العارفون[2].

ولنذكر نماذج مختصرة من كلمات الصوفية في العلم اللدني؛ ليتبين لنا أيَّ علم يريدون، فمن ذلك أن البكري وصف العلم اللدنّي بأنه يُسطَّر في السطورة بل هو تلقين من الله بغير واسطة مَلَك ولا سفارة[3].

ويتم ذلك من خلال **ما يسمّى بالكشف**، فلذا ذكر أن علوم المشاهدات والمكاشفات هي التي تختص بعلم الإشارة الذي تفردت به الصوفية، وإنما قيل: علم الإشارة؛ لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها، بل تُعلَم بالمنازلات والمواجيد[4].

ويعرّف الغزالي الكشف بأنه عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف له من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك[5].

ولكن ما هي الأمور التي تنكشف لهذا الذي حصل على قمة العلوم اللدنية بعد أن كان

---

(١) المرجع السابق ٢/ ١٤٩-١٥٠ في ترجمة علي وحيش، حيث فعل الفاحشة على الملأ، قال النبهاني في ترجمته عند هذه القصة المخزية في جامع الكرامات ٢/ ٢٨١: ((**تقدم نظير هذه الكرامات**))!!.

(٢) انظر الكتب المصنفة في بيان حقيقة هذه الفرقة مثل كتاب دراسات في الفرق للدكتور صابر طعمه ص٧٥ وغيرها، وقد أقر الشعراني بأن الباطنية يقولون: لكل ظاهر باطن، انظر كتابه اليواقيت والجواهر ٢/ ١٢٨.

(٣) السيف الحداد ص١٠٨.

(٤) المرجع السابق ص١٠٦.

(٥) الإحياء ١/ ١٩.

يسمع بها مجرد سماع؟

يجيب الغزالي فيقول ما حاصله أنه تتم له المعرفة بذات الله وصفاته وأفعاله ومعنى النبوة والوحي، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، ومعرفة ملكوت السموات والأرض وكذلك الآخرة والجنة والنار، بحيث **يرتفع الغطاء حتى تتضح له جليّةُ الحق في هذه الأمور اتضاحًا يجري مجرى العيان الذي لا يُشك فيه**[1].

فتأمل معنى الكشف وتأمل ما الذي زعموا أنه يتضح لهم بالكشف؛ لتدرك أن العلم اللدني عند الصوفية فيه من المبالغة المخلة بالاعتقاد ما لا يخفى على اللبيب.

ويزعم الجيلي أن الكشف يجعل صاحبه يعلم العوالم كلها من المبدأ إلى المعاد، ويعلم كل شيء كيف كان، وكيف يكون، وعلم ما لم يكن[2].

والنماذج من كلماتهم كثيرة جدًّا، ومنها تعرف مبلغ الغلوّ الذي وصل إليه القوم بسبب ما توهموه من هذا الذي صنفوه ضمن العلوم اللدنّية.

غير أني **قبل أن أختم الكلام في هذه المسألة أشير إلى مسألة هي أعجب ما ذكروه عند كلامهم على هذه الكشوف**، وهي تدل على مبلغهم من العلم، وتؤكد أنهم قد يتوهمون أمرًا ما، ويصنفونه ضمن علومهم اللدنية، وهو ليس إلا جهلًا محضًا وخيالًا فارغًا.

فإن قلت: قد أجحفت وتجنّيت فما هذا الذي وصمتهم لأجله بكل هذا؟

فالجواب أن **منهم من عدّ (إبليس) واحدًا من كبار المكاشفين، بل ومدحوا صنيعه حين امتنع عن السجود لآدم، وجعلوا هذه المعصية اللعينة قمة المعرفة ونهاية علمه اللدني!!**

١- ولذا مدح الحلاجُ إبليس لامتناعه عن السجود لآدم، وأضاف قائلًا: ((**فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون**))[3]، بل ويزعم أن امتناعه عن السجود وردّه أمر ربه كان ((لمدّته الطويلة على المشاهدة))[4]، ولذا فضّله على جميع الملائكة عليهم السلام فقال: ((**ما كان في السماء**

---

(١) المرجع السابق ١/ ١٩-٢٠.

(٢) الإنسان الكامل ١/ ٤٥.

(٣) انظر الطواسين ص٤١-٤٤، والأحسن أن يسمّى الكتاب كتاب (الطَّواعين).

(٤) المرجع السابق ص٥٥.

مُوحِّد مثل إبليس))[1].

٢- ويبدي الجيلي إعجابه بإبليس، ويقول معلقا على امتناعه عن السجود: ((هذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة))[2].

بل ويزعم أن اللعنة التي حلّت بإبليس مخصوصة بما قبل يوم الدين، فأما بعد ذلك فله القرب المحض من الله تعالى[3].

٣- ويصرح ابن عربي بأن نظرته لإبليس تغيرت، وأنه يعتقد أن إبليس ((عَلِمَ علمًا لا جهل فيه))[4].

٤- **ولذا صاح أحدهم يوم الجمعة على المنبر قائلًا:** ((أشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام))[5]!!

وأحسب أن القارئ الكريم بعد أن وقف على هذه العبارات ـ وغيرها كثير ـ قد تبينت له المخاطر العظيمة التي تضمنتها العلوم اللدنية الصوفية المبنية على كشوفهم ومشاهداتهم، فإنها لو سُلّم لأهلها كما يطالبون لدمّرت ما جاء به محمد ﷺ في الاعتقاد والتشريع معًا؛ لما فيها من قلب للحقائق وجرأةٍ على الأحكام الثابتة المجمع عليها.

فلذا زادت شقّة الخلاف بينهم وبين علماء الأمّة الذين أكدوا أن كلام الله وكلام رسوله ﷺ إليهما المردّ، وفيهما الحجة الحاكمة على كل شيء.

وقد أدى هذا بكثير من الصوفية إلى **شنّ حملة ظالمة على العلم الشرعي وعلى أهله** فحذروا أتباعهم من حَمَلة الفقه والآثار؛ لأن أهل العلم يبينون للناس الحق من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ويحذرون من الأباطيل كلها، سواء صدرت من صوفي أو غيره، فلذا لم يُطِق المنحرفون من

---

(١) المرجع السابق ص٤١-٤٤.

(٢) الإنسان الكامل ٢/ ٤٢.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٤٢.

(٤) نقل ذلك عنه مُحِبُّه المعجب به الشعراني في اليواقيت والجواهر ١/ ٦٠-٦١، وذكر أنه نقله عن كتاب ابن عربي الفتوحات المكية.

(٥) طبقات الشعراني ٢/ ١٠٧.

الصوفية وضوح أهل العلم وصدعهم بالحق فشنّوا حملة معاكسة وحذروا الناس منهم، **بل زهّدوا في علمهم المأخوذ من القرآن والسنة، وأشاعوا في الناس أنهم ـ أعني الصوفية ـ هم أهل العلم والمعرفة الحقة، وأما من سواهم فهم علماء الرسوم الجامدون على نصوص الشرع لا يتلقون المعرفة الدينية إلا منها!!** وتلك شكاة ظاهر عنك عارها.

استمع إلى ابن عجيبة وهو يجعل مجالسة العلماء أقبح من الجلوس مع العوام ومع أهل الجهالة ثم يقول: ((والله ما رأيت فقيرًا صحبهم فأفلح في طريق القوم أبدًا، فلا قاطع أعظم منهم))[1].

وذكر ابن عربي أن الله ما خلق أشد ولا أشق من علماء الرسوم ـ يعني أهل العلم الشرعي ـ فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل[2].

وكأن ابن عربي نسي ثناءه على فرعون وحكمه بنجاته، فلذا ساقه هنا في مقام الذمّ**!!**

إلى غير ذلك من الألفاظ البذيئة التي سطروها وقرروها بحماس ووضوح.

وحيث إن دعاوى الصوفية في تلقي العلم اللدني من أعظم المنكرات، فقد تذرع بعض الصوفية بأن لديهم **من نصوص الشرع ما يدلّلون به على زعمهم، فعمدوا إلى آيات الله يستمدون منها دليلًا على مسلكهم**، غير أنهم أتوا بالعجائب، لأن هذه الآيات في كتاب ﴿ **لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ** ﴾[فصلت:٤٢]، وقد عني ببيان معناه رسول الله ﷺ وعلماء الأمة من أصحابه رضي الله عنهم ومن بعدهم، فمعانيه جليّة ظاهرة، فلا يلجأ مبطل إليه ليستدل به على باطله إلا افتضح.

وقد ركز كثير منهم على ما قص الله في سورة الكهف من خبر موسى والخضر عليهما السلام، وسعى القوم إلى أن يجعلوا من هذه القصة مدخلًا لهم إلى ما يرومون، فقد أخذوا من قول الله في وصف الخضر عليه السلام ﴿ **وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا** ﴾[الكهف:٦٥] ما يظنونه حجة لهم على علمهم اللدني، بل **وأخذوا من مسلك الخضر وما اشترطه على موسى أن على غيرهم أنه لا يعترضوا عليهم كما لم يكن من حق موسى أن يعترض على الخضر!!**

---

(١) الفتوحات الإلهية ص٢٤٣، وقال المعلّق عبد الرحمن حسن: صدق الشيخ، وها نحن الآن نعاني منهم البلاء، كفانا الله شرّهم!!

(٢) الفتوحات المكية ١/ ٢٧٩.

ورغم بُعْد ما بين الأمرين فإن من المهم التأكيد على **أن الخضر نبي من الأنبياء، وليس عبدًا صالحًا فحسب، كما قرر ذلك غير واحد من أهل العلم**(١)، وذلك لأدلة كثيرة يطول سردها، منها: **ما ورد في آخر القصة من قوله** ﷺ **﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾** والمعنى أني لم أفعله إلا لأني أُمِرتُ به ووُقفت عليه، وذلك هو شأن من يتلقى من الوحي، فيعمل بما أمره الله به ولا يتردد.

وكونُ ما فعله ﷺ من الأمور المستغربة لمن لم يعرف سببها لا يدل على ما أراده طوائف من الصوفية من أن المريد لا يعترض على شيخه إذا ظهر منه مخالفة لأمور الشرع، فإنهم يزعمون أن اعتراض موسى على الخضر كان اعتراضًا من المريد على شيخه، وفي نهاية القصة تبين أن الشيخ هو المصيب وأن اعتراض المريد كان في غير محله، وهذا قياس فاسد، فإن الخضر نفسه قال في أول هذه القصة كما ثبت في الصحيحين: ((يا موسى إني على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه))(٢).

فموسى أصاب في أنه أنكر ما ظهرت فيه المخالفة، والخضر أصاب لأن الله أوحى إليه بأن يفعل ذلك، وهو ما بينه له الخضر في آخر القصة، ليظهر لموسى عذره فيما فعل، فلما ظهر العذر تبين الأمر.

واستدلالهم بغرابة ما وقع من الخضر على كونه وليًّا تلقّى علمًا لدنّيًّا لم يدركه الأنبياء ليس إلا واحدا من أدلتهم العجيبة التي تظهر ضعف حجج القوم، **فإن نبي الله إبراهيم** ﷺ **عزم على ذبح ابنه إسماعيل** ﷺ **كما قص الله خبرهما في سورة الصافات، وذبْحُ الابن فلذة الكبد أعظم من قتل ذلك الغلام الذي قتله الخضر.**

وإذا تدبرت القصتين ـ قصة الخضر مع موسى وقصة إبراهيم مع إسماعيل ـ وجدت فيهما شبهًا ظاهرًا من جهة نسبة الأمر بذلك إلى الله، **فإن الخضر كما قال ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ فإن إسماعيل قال لأبيه ﴿ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾**[الصافات:١٠٢] وذلك أن الأمر فيهما أتى من الله لنبيَّين

---

(١) **نسب ذلك للجمهور القرطبي** في التفسير ١١/ ١٢، والشوكاني **في فتح القدير** ٣/ ٣٠٤، عند تفسيرهما للآية، وجزم به ابن حجر في الفتح ١/ ٣٢٩ (النسخة الأزهرية).

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، سورة الكهف، باب **﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾** ٥/ ٢٣٠-٢٣٢، ومسلم برقم ٢٣٨٠.

كريمين، فلم يبق إلا التسليم والرضا، مهما كان ذلك مستغربًا، فسقطت بذلك دعوى القوم من خلال تدبر هاتين القصتين المتشابهتين.

وفوق هذا كله فإن قياسهم شريعة موسى على شريعة محمد عليهما الصلاة والسلام من أفحش الخطأ وأعظم دلائل قلة الفقه؛ لأن موسى ﷺ بعث إلى بني إسرائيل خاصة، أما محمد ﷺ فبعث إلى الناس كافة، فلا يحل لعبد يؤمن بالله اتباع أي شريعة سوى شريعته، حتى لو كان ذلك العبد نبيًّا رسولًا، فكيف بغيره**!!**

فكيف يقال بعد هذا: إن دليل العلم اللدنّي المخالف للشرع موجود في القرآن في القصة المذكورة، مع ما قدمناه من الدلائل الجليّة، والتي من أعظمها ما غفل عنه هؤلاء من عدم صحة قياس شريعة محمد على شريعة غيره، من جهة عمومها ولزومها للجن والإنس.

ثم إذا انتَقد العالِم السُنِّي كشوف القوم قالوا: إنما أنت في إنكارك علينا مماثل لموسى ﷺ حين أنكر على الخضر ثم تبين أن الخضر كان هو المصيب، فسبحان الله ما أعظم غربة هذا الدين**!!** وما أشد ضياع من يرغب عن سنّة خير النبيين**!!**.

٣- الهواتف:

لما فتح القوم على أنفسهم المسائل السابق ذكرها من الكشوف ومنهج تلقي المعرفة وقعوا في متاهة مفجعة، وهي أنهم صاروا يسمعون أصواتًا تأمرهم وتنهاهم فيسمعون لها ويطيعون، دون تردد.

وإنما حملهم على ذلك ظنهم أن هذه الحال حال شريفة وصلوا إليها بعد مجاهدات طويلة، فهي عندهم أثر من آثار سموّ منزلتهم وارتفاع درجتهم، فلذلك صاروا يسمعون كلام الرب أو كلام أحد ملائكته ـ زعموا ـ.

ولعمر الله لقد فتح القوم لإبليس بابًا من العبث بهم لا يُحدّ.

وقد عُرف عن عدد من الذين لبّست عليهم الشياطين أمرهم مثل هذا، فقد ثبت أن رجلًا يُدعى **(ابن صيّاد)** وكان زمن النبي ﷺ وكانت له أحوال وأمور غريبة جدًّا، وأن النبي ﷺ قال له: ما ترى؟ فقال: أرى عرشًا على الماء، فقال ﷺ: ترى عرش إبليس على البحر، وما ترى؟ فقال:

أرى صادِقَين وكاذبًا أو كاذِبَين وصادقًا، فقال ﷺ: [**لبِّس عليه**] وفي لفظ: [**خُلّط عليك الأمر**][1].

فهذا خبر الصادق المصدوق، بيّن فيه أن هذا الذي ظنه ابن صياد صادقًا يأتيه ويحدثه ما هو إلا من تلبيس الشيطان وتخليطه.

وليس ابن صياد وحده في هذا، **فالحارث الدمشقي** زمنَ بني أمية عبثت به الشياطين عبثًا عظيما، ورأى وسمع منها الشيء الكثير، حتى إنه كان إذا مسح الرخامة سمع تسبيحها، ولما طعنه رجل بالرّمح لم ينفذ فيه، حتى أمره عبد الملك بن مروان أن يسمي الله، فلما سمّى قُتل[2] مما دل على أن ذلك من الشياطين، إذ لو كان من عند الله لما زال عند ذكره تعالى، وهكذا عبثت الشياطين بعُبَّاد الأصنام، وكانوا يسمعون من داخلها أصواتًا فزادت فتنتهم بها[3].

وقد ذكر أهل العلم من عجائب ذلك الشيء الكثير.

يقول ابن تيمية رحمه الله في أثناء كلام له عن عبث الشياطين بالناس: ((بعضهم يرى عرشًا في الهواء، فوقه نور ويسمع من يقول: أنا ربك))[4].

وذكر رحمه الله أنه يعرف من تُـخاطِبه النباتات، وإنما يخاطبه الشيطان، ويعرف من يخاطبه الشجر والحجر، ويقول: هنيئًا لك يا ولي الله! لكنه إذا قرأ آية الكرسي ذهب ذلك[5].

وما ذاك إلا أن هذه الهواتف من الشيطان.

وقد بين أهل العلم لهؤلاء المغرَّر بهم أن ما يسمعونه من نداءات ما هي إلا نداءات شيطانية عبثت بالقوم لقلة علمهم وفقههم، فظنوها نداء إلهيّا، **وبذلك تلقَّى القوم ـ وهم لا يشعرون ـ من**

---

(١) انظر: خبر ابن صياد وما فعله النبي ﷺ معه في صحيح البخاري ٢/ ٩٦-٩٧، وكذا ٣/ ١٤٧، وصحيح مسلم ١٨/ ٤٩-٥٨.

(٢) روى خبره ابن الجوزي بسنده في تلبيس إبليس ص٣٧٩-٣٨١، وفيه عجائب وغرائب ما فعلته الشياطين بهذا الإنسان، وانظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، ضمن مجموعة التوحيد ٢/ ٦٥٣-٦٥٤.

(٣) انظر خبر هدم خالد بن الوليد رضي الله عنه للعُزّى وخروج امرأة عريانة سوداء، ناشرة شعرها منها، في طبقات ابن سعد ٢/ ١٤٦، وأورد ابن كثير الروايات في البداية والنهاية ٤/ ٣١٦، وراجع ما قاله ابن تيمية في المسألة وما نقل من آثار في كتاب النبوات ص٤١٩.

(٤) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ضمن مجموعة التوحيد ٢/ ٦٥٣.

(٥) المرجع السابق ٢/ ٦٦٦، وذكر في الصفدية ١/ ١٩٠-١٩٢ عجائب من هذا القبيل يَعرِف أهلها.

الشياطين، وصارت بهذا واحدًا من مصادر التلقي عندهم، وهكذا يفعل الجهل بأهله، فلذا تنوّعت غرائب القوم وعجائبهم.

وما أحسن ما قاله ابن الجوزي حين بين **سبب وقوع القوم فيما وقعوا فيه من المتاهات،** حيث قال موضحًا عبث الشيطان بهم: ((وكان أصل تلبيسه عليهم أنه **صدّهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات**))[1].

ومما يدل على كون هذه الهواتف شيطانية ـ زيادة على ما تقدم ـ ما تضمنته من المخالفات العظيمة لدين الله، فمن ذلك ما نُسب لأحمد الرفاعي شيخ الطائفة الرفاعية من أنه قال لرجل يُدعَى إبراهيم الأعزب: **ناداني العزيز سبحانه:** أريد أن أخسف الأرض، وأرمي السماء على الأرض، فقلت: إلهي من الذي يعارضك في ملكك وإرادتك؟ قال: سيدي إبراهيم[2]! سبحان الله وتعالى عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

فجمعت هذه القصة الشنيعة بين جعل هذا المدعو بالأعزب سيدًا لله رب العالمين، وبين منعه الرب مما أراد، فاللهم عافنا فيمن عافيت.

واستمع إلى ما هو من هذا القبيل حين ينقل الجيلي أن آخر يدعى حسنًا بن أبي السرور قيل له: **لو كشفنا للخلق عنك لرجموك، فقال: ولو كَشَفْتُ لهم عن رحمتك لما عبدوك،** فقيل: يا حسن، لا تقول ولا نقول[3]. تعالى الله وتقدس.

فهذه دعاوى المبطلين الذين زعموا أنهم يسمعون الهواتف الإلهية ويردون عليها، حتى قال ابن عربي ـ وهو ذو الدعاوى العريضة ـ: ((الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله ﷻ بلا واسطة نقل أو شيخ))[4] أي عن طريق التلقي المباشر عن الله، عياذًا بالله من هذا الضلال.

ولذا ذكر الغزالي أن صاحب الخلوة الصوفي الذي يتبع طريقة القوم في خلوتهم ((**يسمع**

---

(١) تلبيس إبليس ص١٦٣.

(٢) قلادة الجواهر ص٨٠.

(٣) المناظر الإلهية للجيلي ص١٧٥.

(٤) نقله الشعراني في الطبقات ١/ ٥ عن رسالة لابن عربي.

نداء الحق في خلوته))[1].

ويا لله العجب**!** من قال إنه نداء الحق؟

ولنختم الكلام في هذه الهواتف المزعومة بهذه **المهاتفة السّمجة لأحدهم**، حيث ساق الشعراني عنه أنه مر بها سماه (تُوتَة) يعني شجرة التوت فقال: يا توته حدثيني حدُّوثة**!!** فقالت: إنهم لما زرعوني سقوني، فلما سقوني أَسَّسْت، فلما أَسَّسْت فرّعت، فلما فرّعت أورقت، فلما أورقت أثمرت، فلما أثمرت أطعمت، ثم يقول: وكان كلامها سلوكًا لي، **وقد حصل لي بحمد الله ما قالته التوتة**[2]**!**

فهل هذه الهواتف إلا من ألا عيب إبليس؟

٤- الأحلام:

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: [**الرؤيا ثلاثة، فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدّث المرء نفسه**][3].

وهذا تقسيم نبوي صادق يبين أنواع الرؤى، والتي بالغ بعض الناس في الحطّ من شأنها واستخف بها، بسبب قلة العلم بالنصوص الواردة فيها، والتي بيّنت المنهاج السوي بشأنها[4].

وبضد الصنف المذكور آخرون من الصوفية وغيرهم بالغوا في التعظيم من أمرها، حتى إنهم أسّسوا أحكامًا شرعية بناء عليها.

والحقُّ الذي لا مرية فيه أن دين الله دين كامل غير محتاج إلى أي مصدر آخر تُستمد منه الأحكام لا يقظة ولا منامًا، وقد حسمت هذه الآية العظيمة **ذلك**: ﴿**ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا**﴾[المائدة:٣].

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٧٦.

(٢) طبقات الشعراني ٢/ ٨٩.

(٣) رواه مسلم برقم ٢٢٦٣ مرفوعًا، والبخاري ٨/ ٧٧ في كتاب الرؤيا، باب القيد في المنام عن ابن سيرين [**وكان يقال...**]، وتكلم ابن حجر في الفتح ٢٦/ ٢٦١ (النسخة الأزهرية) على الحديث وذكر طرقه.

(٤) حيث ورد في الحديث ما الذي يقوله ويفعله من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها.

ومن عجيب أمر طوائف من الصوفية أنهم جعلوا من الأحلام مصدرًا يتلقون منه ويبنون عليه أمورًا كبيرة، فإذا سئلوا عن ذلك أخبروا سائلهم بأن هذه من آثار رؤيا رأوها.

وهذا كما أسلفت راجع إلى مسلكهم الذي ارتضوه في مسألة تلقي المعارف والكشوف التي تُفتح عليهم، فإنهم يزعمون أن هذه الكشوف تفيض عليهم يقظة ومنامًا.

وليس مرادهم قطعًا ما ورد في النصوص من أن هذه الرؤى من المبشرات، وإنما مرادهم ما عرفتَ من مسلكهم العام في أمر المعرفة الصوفية التي يتلقونها ـ في زعمهم ـ يقظة ومنامًا، مما يجعل إصرارهم على تعظيم هذه الأحلام كبيرًا، كيف لا، وهي عندهم إحدى المصادر التي تتلقى منها النفوس الشريفة معارفها بعد أن هُذّبت ونُقّيت بالمجاهدات الصوفية!

فهذا أحدهم يزعم أنه رأى النبي ﷺ في المنام وسأله عن **أفضل الأعمال** فقال ـ وحاشاه ﷺ ـ وقوفك بين يدي ولي الله كحلب شاة أو شواء بيضة خير لك من أن تعبد الله حتى تتقطع إربًا، ثم زعم أنه سأل النبي ﷺ عن هذا الولي الذي يوقف بين يديه: حيًّا أو ميّتًا؟ قال: حيًّا وميّتًا[(١)].

فانظر كيف ألصق برسول الله ﷺ هذه الفرية ليستمد منها حكمًا حاصله أن أفضل الأعمال الوقوف بين يدي الأولياء الأحياء والأموات، وأن ذلك أفضل من جميع العبادات.

وقد بيّن ﷺ لأمّته أفضل الأعمال وبين لهم ـ وهو الذي لا ينطق عن الهوى ـ ما رتب الله عليها من الثواب[(٢)]، فتأتي هذه الأكذوبة لتغيير ما قرّر وتبديل ما أخبر.

وقد ربط كثيرون من الصوفية رؤاهم على النحو المذكور برسول الله ﷺ، حتى إن بعضهم زعم أنه عرض ما صنّفه من الكتب على رسول الله ﷺ ليكتسب ـ عند الجهلة ـ حجة على إقرار رسول الله ﷺ لكتابه، كما فعل ابن عربي حيث زعم أن كتابه (فصوص الحكم) قد تلقاه من النبي ﷺ وأمره بنشره[(٣)]، مع أن فيه أهوالًا وفظائع يأتي ذكرها بحول الله.

---

(١) بوارق الحقائق للرواس ص٢٢٣، وقلادة الجواهر ص٤٣٠.

(٢) انظر كتاب رياض الصالحين للنووي، باب في بيان كثرة طرق الخير ص٨٧.

(٣) انظر الفصوص ١/ ٤٧.

وقد ذكر السندي واحدة من قصصهم في هذا مطولة ونقدها في كتابه الذي صنفه في الرد عليهم(١).

وحيث إن هذه الرؤى عندهم نوع من الكشوف الإلهية فإنهم قد ينفذونها رغم ما فيها من المخالفة للشرع، فقد عبث الشيطان ببعضهم ورأوا في منامهم أنهم يذبحون أبناءهم، فنفذوا ذلك وأجهزوا على أبنائهم(٢).

وقد قاس الجهلة أنفسهم بخليل الرحمن حين أمره الله ﷻ بذلك في شأن ابنه إسماعيل عليه السلام، وغاب عنهم أن الفرق كبير بينهم وبين سيد الحنفاء، فهو عليه السلام من الأنبياء وليسوا كذلك، ورؤياه ليست مثل رؤاهم، لأن رؤيا الأنبياء ـ صلى الله عليهم وسلم ـ وحي(٣).

ولذا عبّر إسماعيل بما يجلي هذا المعنى فقال حين أخبره إبراهيم بالرؤيا ﴿ **ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ** ﴾ [الصافات:١٠٢] وذلك لأن رؤياه أمر من الله.

وبكل حال فإن الأحلام الصوفية فرع عن منهج القوم في المعرفة، وتعظيمُهم لها تعظيمٌ لمسألة المعرفة وتلقيها.

ولك أن تتصور العبث العظيم الذي يمكن أن توصلهم إليه هذه الأحلام حين يتخذها الشيطان وسيلة يوسوس لهم بها ليلًا ليطبقوها ويعملوا بها نهارًا.

وقد ثبت أن رجلًا أتى النبي ﷺ وقال: [إني حلمت أن رأسي قُطِع فأنا أتبعه] فزجره النبي ﷺ وقال: [**لا تُخبِر بتلعُّب الشيطان بك في المنام**] ثم إنه ﷺ خطب فقال: [**لا يُحَدِّثن أحدكم بتلعّب الشيطان به في منامه**](٤).

فهذا وقع لرجل من أصحاب النبي ﷺ وعامَله ﷺ هذه المعاملة التي رأيتَ من الغضب والإخبار بأن هذا من تلاعب الشيطان، فكيف لا يقع هذا التلاعب لمن زهد في العلم الشرعي وأقبل على الأوهام والخيالات، يظنها كشوفًا ومعارف إلهية؟

---

(١) التصوف في ميزان البحث ص٢٥٥-٢٥٧ للشيخ عبد القادر السندي.

(٢) نظرة عابرة لسيف الرحمن الدهلوي ص٣٩.

(٣) انظر ما أورده السيوطي في الدر المنثور ٧/ ١٠٤ من الأخبار الدالة على ذلك.

(٤) رواه مسلم برقم ٢٢٦٨ وله أكثر من لفظ.

٥- الأحاديث الموضوعة:

لا يخفى أن علم الحديث من أجل العلوم، وقد قَصُرت معارف كثيرين دونه، لما يحتاج إليه طالب هذا العلم من الجدّ والتشمير والحفظ والصبر الطويل، وقد ورد عن أمير المؤمنين عمر ﷺ أنه قال: [**أصحاب الرأي أعداء السنة أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلّتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سُئِلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم**][1].

وحيث إن كثيرًا من الصوفية يَعْزِفون عن العلم الشرعي ويُزهّدون فيه كما تقدم، فإن ذلك قد أدى بهم ـ ولا بدّ ـ إلى الجهل الشديد بالأخبار والآثار، فضلًا عن العجز عن تمييز الصحيح من الضعيف.

ولهذا انتشرت في طوائف من الصوفية أحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ وأخرى لا أصل لها عنه سطروها في كتبهم ونشروها في محافلهم، لأنهم رأوا في معانيها جمالًا وبهاءً راقَ لهم.

وقد أدّى هذا إلى انتشار واسع لهذه الأكاذيب المختلقة على رسول الله ﷺ، فعمّت البلية مما ضاعف الحِمْل على أهل العلم الشرعي الذين هَبُّوا للذب عن سنة رسول الله ﷺ وتتبعوا تلك الأحاديث المكذوبة بالنقد والتفنيد، فحفظ الله بهم سنة نبيهم ﷺ.

وكم يَعجب المرء من تداول الصوفية أحاديث يكون في أسانيدها رواة كذابون مشهورون بالكذب عند آحاد طلبة العلم الشرعي، كما يوجد في متون تلك الأحاديث من الأباطيل وركاكة الألفاظ والبعد عن مشكاة النبوة ما يجزم البصير بأحوال رسول الله ﷺ بأنه لم يقله يومًا من الدهر، وإنما اختلقه أهل الكذب.

وهنا وقع القوم في ورطة بيّنت حقيقة كشفهم الذي يزعمون، إذ لماذا لم تدلَّهم كشوفهم وعرفانهم على أن تلك الأكاذيب لا تثبت عن رسول الله ﷺ؟ فإنهم يزعمون أن تلك الكشوف نتيجة المجاهدات، وأنها هبة من لَدُن الله لا يكاد يَعْدِلُها هبة، غير أنها خانتهم أحوج ما كانوا، حيث وقعوا في نقل الكذب على رسول الله ﷺ ونشره، وهم لا يشعرون!!

---

(١) أورده ابن القيم بألفاظ متقاربة عنه في إعلام الموقعين ١/ ٥٥ ثم قال: ((وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة)).

وقد زادت المحنة حين بنى عدد من الصوفية على الأحاديث الموضوعة جملة من العبادات القلبية والبدنية ورتَّبوا أوضاعًا تعبّدية بناء عليها، فانتشرت تلك الأوضاع في كثير من المتدينين، يظنون أنهم مقتدون فيها برسول الله ﷺ مقتفون لآثاره.

ومن الأمور المؤسفة أن تلك الموضوعات المكذوبات على سيد ولد آدم ﷺ تخالف في أحيان كثيرة الأحاديث الصحيحة التي اتفق على إخراجها الشيخان وأهل السنن والمسانيد، ومع ذلك انتشرت الموضوعات في كثير من الصوفية، وخفيت عليهم السُّنَّة الصحيحة الثابتة.

ولا عجب في هذا فإن القوم كما تقدم في كلام ابن الجوزي رحمه الله إنما جاءهم الداء من جهة أنه صُدُّوا عن العلم فتخبطوا في الجهالات.

والأحاديث الموضوعة المنتشرة في تراث الصوفية كثيرة جدًّا، يحتاج ذكرها لصفحات عديدة، بيْد أني **أضرب مثالًا بأحد كتب الصوفية**، والذي يُعدّ أكثر هذه الكتب انتشارًا وأكثرها قبولًا في أوساطهم، وهو كتاب (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي، فقد حشد فيه مصنِّفه عددًا كبيرًا من الأحاديث المكذوبة والأحاديث التي لا أصل لها، فَسَرَتْ تلك الموضوعات في قُرّاء هذا الكتاب سريان النار في الهشيم.

ومن عجبٍ أن الغزالي قال في كتابه (قانون التأويل): ((أنا مُزْجَى البضاعة في الحديث))[1].

وصدق فيما قال، فإن من وقف على نقله غير المتثبت للأحاديث يدرك أن الرجل كما وصف نفسه.

ولكن يأتي السؤال الملحّ: إذا كان الغزالي وأمثاله من الصوفية من ذوي البضاعة المزجاة في هذا العلم الشريف فلماذا نقلوا عن رسول الله ﷺ ما لا يدرون أهو ثابت أم لا؟ ثم لماذا يدعون غيرهم إلى العمل بما نقلوه من هذه الأحاديث ويرغّبونهم فيها ويزعمون أنها مما ينبغي للسالك عدم التفريط فيه؟

أليس من عواقب ذلك أن تنتشر الأكاذيب على رسول الله ﷺ ويُنسب إلى شريعته ما ليس منها؟

---

(١) قانون التأويل، مطبوع مع كتابه معارج القدس ص٢٤٦.

ولو لم يكن من عواقب ذلك إلا أن يتدين كثير من المسلمين بما يظنونه من دين الله، وإذا سئلوا عنه نسبوه لرسول الله ﷺ، وفيه ما فيه من الإفك والكذب.

ليس هذا فحسب، بل إن هذه الأباطيل المنسوبة إلى سيد ولد آدم **صارت فرصة كبيرة للحاقدين من اليهود والنصارى والملحدين ليتندروا بدين الله ويظهروه في مظهر التخلف،** ووجدوا في هذه الأباطيل مادّة دسمة يُشبعون بها أغراضهم الدنيئة.

وكان حقُّ تلك الأباطيل أن تجتمع كلمة كل محبّ لهذا الدين لدحضها وتبرئة دين الله منها، لا أن يُتَسبَّب في استفحال دائها ونشرها والدعوة إلى العمل بها، وكأنها أحاديث مروية في الصحيحين.

ولك أن تعرف بعد كل ذلك أن من المتصوفة الجهال من زيّن لهم الشيطان ـ مستغلًا جهلهم ـ أن يضعوا بأنفسهم الأحاديث على رسول الله ﷺ، لماذا؟

لِيُقْبِلوا بقلوب العباد ـ في زعمهم الفاسد ـ على دين الله ويرغبوهم في العمل به، وزيّن لهم الشيطان أنهم وإن افتروا على رسول الله الكذب فإنهم غير داخلين في الوعيد المرتّب على الكذب عليه ﷺ، لأنهم بكل سهولة يكذبون لرسول الله أي لأجله، وهو قد حذر من الكذب عليه لا من الكذب له[1]!!.

وهذه عاقبة الجهل والبعد عن العلم الشرعي وأهله، وهي مثال ظاهر على فرق ما بين العلم الشرعي الحقيقي النافع الذي تلقّاه علماء الأمّة خلفًا عن سلف، وبين العلوم المتوهّمة عن طريق الكشوف والأذواق الصوفية.

وبالجملة فإن الأحاديث المكذوبة كانت واحدًا من المصادر التي تلقى عنها القوم، سواء أكان ذلك بسبب جهلهم وقلة تمييزهم بين الصحيح والمكذوب، أو كان بالمشاركة العملية في اختلاق الأكاذيب ونسبتها إلى رسول رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه.

---

(١) انظر تدريب الراوي للسيوطي ١/ ٢٨٣، ٢٨٨، وفيه قصة معبرة، حيث سمع أحد المحدِّثين وهو المؤمّل ابن إسماعيل بالحديث الموضوع في سور القرآن، وصار يتنقل بين البلدان حتى وصل إلى أول من حدّث به، وإذا هو صوفي زعم أنه يريد أن يقبل بقلوب الناس إلى القرآن لأنهم انصرفوا عنه!!

٦- تحريف النصوص:

لما كان كتاب الله كما وصفه الذي أنزله تعالى بقوله: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر:٢٨] وبقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾[الكهف:١] لم يطمع أهل البدع في الاستدلال به على باطلهم إلا من جهة تحريف الكلم عن مواضعه، فلذا سعوا على اختلاف مشاربهم إلى تحريف النصوص عن معانيها الناصعة الجليّة إلى معاني يرتضونها.

وقد أخذوا جميعًا بنصيبهم من هذا الداء، فلذا انتشر بينهم ما اصطلحوا على تسميته بالتأويل، وهو بلا شك تحريف وتبديل، ولكن سمّوه بهذا الاسم تخفيفًا لصنيعهم وتسهيلًا لرواجه في الناس(١).

ولم يكن تحريف معاني النصوص مقصورًا على نصوص القرآن وحدها، بل شمل نصوص القرآن والسنة معًا، ولكن جرأة أهل البدع على نصوص السنة بالتكذيب لها والرد كانت أكبر، فلذا ركزوا كثيرًا على تحريف النصوص القرآنية التي لا يملكون تكذيبها وردّها.

وقد تفنّن بعض الصوفية ـ وهم موضع بحثنا ـ في هذا التحريف، حتى نشأ عندهم تفسير عجيب غريب أُطلق عليه تفسير الصوفية، فيه من تحريف الكلم عن مواضعه ما جعل علماء الأمّة يهبّون لمواجهتهم لئلا يفسدوا على هذه الأمة مصدر عزتها.

وكما هي العادة ردّ أهل العلم عليهم أباطيلهم وأفحموهم وأسكتوهم، وذلك لأن أهل العلم يملكون من القوة العلمية ما يعجز أولئك القوم عن مثله.

فأهل العلم يعرفون من نصوص السنة الموضحة لنصوص القرآن، ويعرفون من تفاسير السلف ولغة العرب التي هي لغة القرآن ما يبينون به أن ذلك التحريف ضرب من ضروب الباطل الذي نزه الله كتابه عنه، وقام على رده كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمّة.

---

(١) انظر ما ذكره ابن القيم رحمه الله في أول كتاب الصواعق المرسلة عن أنواع التأويل الباطل، حيث أوصلها إلى عشرة ومثّل عليها (مختصر الصواعق ص١١-١٥).

واعلم أن (التأويل) له معنيان حقيقيان: الأول: التفسير، كما كان ابن جرير رحمه الله يقول كثيرًا: القول في تأويل قول الله، أي تفسيره، والثاني: حقيقة الشيء، فتأويل ما يكون يوم القيامة هو نفس الوعد والوعيد حين يراهما العباد، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة ص٩-١٠.

ولذا قال أبو الحسن الواحدي المفسّر: ((صنف أبو عبد الرحمن السلمي (حقائق التفسير) فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر))[1]، وذلك لما في هذا الكتاب الـمُسَمَّى (حقائق التفسير) من التحريفات والأباطيل الصوفية.

ولنضرب بعض الأمثلة على تفاسير بعض القوم ليتبين للقارئ أن هذا التحريف يخل بالاعتقاد، ويخالف أمورًا مسلَّمة أجمع أهل الإسلام عليها، ليتضح ما نحن بصدد الحديث عنه من أن من مصادر التصوف تحريف النصوص عن معانيها؛ لتكون حجة على الباطل الذي أراده المحرّف، مع أنا نجزم أن الذي أنزل هذا الكتاب العظيم ـ وهو القوي العزيز ـ قد تكفل بحفظه وقيّظ من يذبّ عنه، وإن فعل أهل التحريف ما فعلوا.

وسنجعل كتاب **فصوص الحكم لابن عربي** مثالًا على التحريف المذكور، وكنا عند الكلام على الأحلام الصوفية قد ذكرنا أن الرجل بلغت به الجرأة إلى حد القول بأن كتابه هذا مما تلقّاه من رسول الله ﷺ مباشرة وأنه دفعه إليه، لينتفع به الناس!!.

فمن نماذج التحريف في هذا الكتاب أن ابن عربي لما كان من **أشهر القائلين بعقيدة (وحدة الوجود)** التي مضى التعريف بها، وأن مما يترتب عليها تصحيح كل دين، حتى وإن كان دين المشركين، **لما كان ابن عربي من أصحاب هذه العقيدة عَمَدَ إلى الآيات التي ورد فيها تكفير أعداء الرسل وبيان أن الله أحل بهم نقمته وعذابه، فجعل هذه الآيات دالة على خلاف ذلك.**

١ – فقول الله تعالى عن قوم نوح ﴿ **مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا** ﴾[نوح:٢٥] يقول فيه ابن عربي: ((﴿ **مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ** ﴾ فهي التي خَطَت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله... ﴿ **فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا** ﴾ فكان الله عين أنصارهم، فهلكوا فيه إلى الأبد))[2].

---

(١) فتاوى ابن الصلاح ١/ ١٩٦-١٩٧، ونقله الزركشي في البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٧٠-١٧١، وقد حمل ابن الصلاح ذلك ممن يوثق به منهم على أنه لم يُرد التفسير، ثم تمنى أنهم لم يفعلوا ذلك؛ لما فيه من الإيهام والتلبيس.

واعلم أن من عظّم كتاب الله حقّ تعظيمه لا ينهج في تفسيره غير نهج السلف ـ خير هذه الأمة ـ.

(٢) فصوص الحكم ١/ ٧٣.

٢- وصحّح قول فرعون ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ مع أنه من أظهر الأدلة على كفر فرعون وجرأته، فقال ابن عربي ما حاصله أن فرعون في منصب التحكم والخليفة بالسيف فقوله ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ أي وإن كان الكلّ أربابًا بنسبةٍ ما فأنا ربكم الأعلى منهم، ولما علمت السحرة صدقه لم ينكروا مقاله، بل أقروا له، فقالوا ﴿ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴾ ﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ فالدولة لك، فصَحَّ قوله ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[1]!

مع أن فرعون كما هو معلوم قد أنكر الرب فقال ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء:٣] ومراد عدو الله: ((أيُّ شيء رب العالمين)) كما ذكر ابن جرير[2]، وقال: ﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾[القصص:٣٨] وقتل السحرة حين آمنوا، وأراد إهلاك موسى وقومه.

٣- وفسر ابن عربي قول الله فيما ذكر عن امرأة فرعون: ﴿ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ ﴾[القصص:٩] بقوله: ((...كان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق **فقبضه طاهرًا مطهرًا ليس فيه شيء من الخبث**))[3].

وقال عنه أيضًا: ((**فنجّاه الله من عذاب الآخرة في نفسه، ونجى بدنه فقد عمّته النجاة حسًّا ومعنى**))[4].

٤- ولما كانت النار دار العذاب الذي توعد الله به أعداءه حرف ابن عربي المراد بالعذاب في الآيات بأن **المراد به عذوبة الطعم، فهم عنده في نعيم كما أن المؤمنين يُنَعَّمون في الجنان، فكلهم عنده في نعيم**، حيث جوّز أن يكون لأهل النار نعيم كنعيم أهل الجنة في الجنة[5].

وعبّر عن ذلك أيضًا في شعر قال فيه:

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لـذة فيها نعيم مُبايِن

(١) المرجع السابق ١/ ٢١٠-٢١١.
(٢) انظر تفسيره جامع البيان ١٩/ ٤٣.
(٣) فصوص الحكم ١/ ٢٠١.
(٤) المرجع السابق ١/ ٢١٢.
(٥) المرجع السابق ١/ ١١٤.

يسمى عذابًا من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صاين[1].

فسبحان الله رب العالمين عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، ولعمر الله إن هذا الصنيع الذي عاملوا به آيات الكتاب العزيز يقلب الدّين من التوحيد إلى الشرك، فلذلك كانت جنايتهم بهذا التحريف عظيمة، بعيدة المدى.

وبعد فهذا غيض من فيض مما يمكن أن يقال في مصادر التلقي عند الصوفية، حرصنا أن نراعي فيه الإنصاف، بالإحالة على كتبهم، كما قد رأيت، وح الشديد الذي صار إليه التصوف، والله المستعان.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) المرجع السابق ١/ ٩٤.